

أيام في السعودية :

أنيس منصور



إنهم لا يقدسون الموتى !

يومان

في السعودية : يوم اغتيال الملك فيصل . ويوم عودة الملك خالد بعد أن شفاه الله . في اليوم الأول ذهبت لأقدم صادق العزاء إلى الأصدقاء من الأمراء ومن الرعيين . وفي الطائرة أعددت نفسي لمواجهة هذا الموقف الأليم . ولا بد أن الحزن كان واضحا على وجهي . فالتك كان رجلا عاقلا هادئا متواضعا طيبا . وهو لا شك خسارة لأهله ولتفرقه وللغرب . وفي الطائرة وجدت السعوديين يتكلمون ويأكلون ويضحكون . قلت : لا بد أن الحزن أوقفهم . وهم في حاجة إلى شيء من الترفيه .

وفي الطائرة وجدت السعوديات قد تحبين غطاء الوجه جانبيا ، فظهرت وجوده مفسولة شاحبة وإن كانت العين كبيرة ولمساتها شديدا . ولكن عندما اقتربت الطائرة من مطار جدة . تبدلت الصورة بسرعة فالرجال قد سحروا الضحك من الوجوه . والنساء قد سحنن الأغنية على الوجوه . وكأنهن يحولن من آميأ إلى أنشراح . والمطار يرحي بالمزمن حقا .

وفي مطار جدة صاحبت الكثير من الأصدقاء . وكان موضعنا هو اغتيال الرجل الطيب الملك فيصل . وفي السيارة كان الراديو يذيع القرآن الكريم . ومددت يدي أفنغ لسانتي التاكسي وناقضني في الأجرة . فأفكرت أن الحزن ليس عميقا كما كنت أنصو . وفي الفندق دخلت في الحركة العادية اليومية لأي زائر أو سائح . ملأت الاستراحة وطلبت الفتحا ودخلت غرقي . ودخلت تحت الدش وطلبت النساء . ومددت يدي إلى التلفزيون وذهبت إلى الصديق عبد الله الفيصل . إنه أكبر أبناء الملك وأحب أولاده إليه . ووضعت أحزاني وأسأل كلها في يدي دلي عني أو تصمرت ذلك . ويبدو أن الأمير عبد الله الفيصل . قد تلقى هذا العزاء ألف مرة . فلم يعد هناك ما يستطيع أن يطبقه . فكل الذي قاله ردا على تعزية الناس قد كرره حتى مله . أو حتى ملت يده وعينه وشفتاه .

وجه الناس إلى الأمير عبد الله الفيصل وتحدثوا في كل شيء . ومضت ساعة لم يرددوا فيها اسم الملك فيصل وبدأت أجمع ذهني لكي أصل إلى هذه النتيجة : أنني في السعودية ولست في مصر .

ومعني ذلك أن الحزن في السعودية ساعات والكثير جدا أيام . أما عندنا في مصر فالحزن أيام وسنوات . ثم نام الناس جميعا إلى تناول العشاء . ودار الحديث عن الفرق بين لحم الضأن ولحم البجاء . ولم أنطق بكلمة واحدة . لا لأنني لا أعرف هذا الفرق . فلنا أكل ما أجدهم ثم إنني لا أحب اللحم ولا أشتبهه ولو غاب عن عيني سنوات فلن أطلبه . ولكن الكلام بهذه الصورة قد صدقني . أو صدم بمجموعة الأفكار التي أعدهتها وحشدتها في رأسي قبل أن أصل إلى السعودية . وابتلغت مع الطعام لسان وسكت .

وفي الرياض قابلت عددا هائلا من الأصدقاء . إنهم في غاية الحزن . ولكنهم في نفس الوقت في منتهى التسليم بقضاء الله . لقد مات الملك . وكل إنسان سوف يموت .

وفي الرياض كانت الصدمة الثانية : سألت عن قبر الملك . فأشاروا إلى طوبة على سطح الأرض . وقالوا : هنا . ■ سألت : سوف يدفن هنا ؟ قالوا : بل قد دفن هنا ؟

أما « هنا » هذه لمناخا أنهم حفروا الأرض . ثم حفروا جانبيا من الأرض ووضعوا وراء الحجارة والراب . ثم وضعوا قطعة من الحجارة على سطح الأرض تميزا مؤثرا لسير الملك . وهم - أي السعوديون - يستنكرون أن يمتاز قبر عن قبر ولو بطوبة أو بقطعة حجر .

فالرجل « هنا » تحت هذه الطوبة . انتهى رجل عظيم حكم . فإذا حاولت أن تناقش معهم ذلك قالوا لك : وأين الرسول عليه السلام ! إنه هو أيضا تحت الأرض . إنه بشر .



أما اليوم الثاني فهو عندما عاد الملك خالد من لندن بعد أن أجريت له عملية جراحية في عظام الحوض . وهي عملية أليمة رهيبة وبعد سبعين يوما عاد الملك ليجد الشعب قد أهمل له التواريخ والبيوت والمؤسسات . ولم يفرح الشعب السعودي قبل ذلك . وهذه الصورة . إلا يوم مبايعة الملك فيصل . بل إن السعوديين هذه المرة قد تجاوزوا كل الحدود . فقاموا الزينات وذبحوا الأغنام ورفصوا في الشوارع وفي أيديهم العصي والسيف ثلاث أيام . بل إنهم كانوا ينتظرون ثرة الأخبار الأخيرة لعل الملك يأمر لهم بيوم إجازة . أو بأسرع أو بشهر . فهم سعداء ويريدون أن يخرجوا وأن يتفرجوا على أنفسهم وهم سعداء .

وقد خرج الناس إلى الشوارع وقد امتلأت السيارات بالسيدات والأطفال . وجلس الناس على الأرصفة ومعهم أجهزة التلفزيون والطعام . وحدث في المدن السعودية ما يحدث في القاهرة أيام مباريات كرة القدم : زحمة في الشوارع وانقطاع للتيار الكهربائي .

وفي الشوارع تفرجت على العبارات العالية جدا . فهذه العبارة كانت الشقة لها بنات الجنيحات أصبحت الآن بنات الألو . وهذه العبارة نفق على أرض فيها عشرات الملايين . ومن الكلمات التي تزد على الألسنة هنا كثيرا « المليين والألف مليون » . وكثيرون في السعودية عندهم الشجاعة في ترديد مثل هذه الكلمات دون حرج أو أدعأ .

(وقد شعرت بالدفعة كثيرا في السعودية . وقد شخصت مرضى منذ أيام على أنه التهاب المصابين والمعدة وشدة القيء على العيتين وقلة النوم . ولما عدت إلى القاهرة سألت الطبيب فقال : عندك تلك في الأرقام . أي اغتشرت الملايين في أفن فأحدثت خلا في الأذن الوسطى . ومن هنا كانت الدوخة !)

ثم جاء الملك خالد فأعطى الناس إجازة يوما . ثم ثانيا وثالثا . ورفعت الأجور إلى ٥٠٪ . ولعلونا جميعا فإن الجندي الذي يلحق بالعمل بعد تدريب شهر أو شهرين يتقاضى مرتبا شهريا قدره ٤٠٠ جنيه . أربعة وأمانها صفران . هذا الجندي يفت في بداية السلم الوطني . وترتبه الوظيفي رقم ٣٣ . وأترك لحياك أن يذهب حيث يشاء عندما يطلع من الجندي البسيط الذي يملك عصا وبنق بها العريات الفخمة في الشوارع إذا خالفت المرور أو تورم أنها فعلت ذلك . إلى المدير والوزير . والفرق بيننا وبين السعوديين واضح جدا : فهم لا يفسدون الموتى مثلك . ولذلك فأحزانهم عابرة . وتسليمهم بقضاء الله وقدره حقيقة تقيظ المصريين والكثيرين من العرب الذين ملأوا بلادهم بأهرسة الأولياء .

ومن فضل الله تعالى على الاسلام والمسلمين أن أحدا من الخلفاء الراشدين أو الصحابة لم يدفن في القاهرة . وإلا لقدسه المصريون وجعلوا زيارته أحد مناسك الحج . لأننا قدس موتانا . أستغفر الله !

وأين ولد الرسول ؟!

مكة تسأل : وأين ولد الرسول عليه السلام ؟
● يقول لك أي واحد : هنا .
- في مكة .
● أعرف . ولكن أين بيته الكريم ؟

في

- والله لا أعرف . أفن أن بيته في شارع .
● تقول « تظن » . وهل الكلام عن رسول الله وبيت رسول الله كما تصح مع كلمة « تظن » . ألا تعرف أين البيت الذي ولد فيه الرسول . يا نهار أسود . ألت مسأ ؟
- أعوذ بالله . بل مسلم . ولكن يا أخى لا أعرف أين ولد رسول الله . إنه ولد في مكان ما . وما قيمة هذا المكان .؟ ولا يقوى مصرى على الاستماع إلى مثل هذه المناقشة . ولكنهم في السعودية يتناشرون ويربون أن هذه المناقشة سخيفة جدا . لأن البيت الذي ولد فيه الرسول ليس له قيمة . فالقداسة لله وحده لا شريك له . أما الرسول فليس إلا بشرا . كان عظيما . وسوف يبق عظيما . أما بيته وأما قبر . فلا يصح أن ينظر أحد إليها على أنها مكانان مقدسان .
والبيت الذي ولد فيه الرسول ﷺ تنسفه مكة . مكتبة عادية إذا فبت إليها اندش الناس لها مكام بالبحث عن هذا المكان . وفي إمكانك أن تندش على راحتك فلن يجاريك أو يبتشك في ذلك أحد .

وفي المدينة المنورة تزور « قبر الرسول » . السعوديون يفرلون : يا رجل عيب . حرام عليك . لا نقل « قبر الرسول » قل « مسجد الرسول » . وهناك نجد الزوار من إيران ومصر وتركيا وباكستان



الأمير فواز



عبد الله الفيصل



الملك فيصل

للقصص.. أو عيد الوهاب للأغاني

والصديق عبد الله فقيه هو أحد أبناء هذه الأسرة التي تبني الدواجن للشعب.. وهم فقهاء في تربية ونسويق الدواجن، وفي شيا أيضا.. قد جرت ذلك وأشهد لهم بالبراعة في هذه الصناعة! وعبد الله فقيه هذا رقيب متحور.. وواسع الأفق حقا.. وقد شهدت لحظة تنفيذ حكم الإعدام في كتاب وأرد من مصر.. أما الرقيب الديني فقد قرر تحريم الكتاب.. فقد جاءت في الكتاب كلمة خر.. في أكثر من موضع.. ورأى الرقيب أن هذا يكن بدا لصاورة الكتاب مع أن القرآن الكريم قد ترددت فيه هذه الكلمة كثيرا!

ولكن عندما قلب عبد الله فقيه هذا الكتاب وجد أن كلمة خر قد وردت دوة لشرب الخمر أو تعجدها.. وإنا جاءت لوصف النسوة التي يستنصرها الشاعر وهو ينظر إلى جمال القروب أو روعة الزهور.. فأصدر قرارا بفسح الكتاب.. أي بالإفراج عنه!

■ ولم يكن ذلك ممكنا من سنوات..

ولكن هناك مرونة وواقعية عند المفتين السعوديين.. فالدنيا قد انتشرت بعضها على بعض.. وليس في الإمكان أن تفصل السعودية عن الدنيا.. فأبناؤها ينافرون على مدار السنة ويعودون معهم الكتب والأفلام من كل لون ونوع.. ثم إنه من المستحيل أن ترقف هذه الحرية التي تهب عليهم من كل الجهات.. فلا أحد يجهد شيئا.. فالرجل يرحل ويجري.. وكذلك المرأة ترى ونسمع وتناقش.. ولم يعد هناك شيء يمكن اختفائه وليس من العقل أن يكون الإنسان متجسدا.. متصليا..

فعبد الله فقيه، وغيره من السان المثقفين، يؤدون للفكر خدمات جليلة بأنكارهم التحرة ووجدهم الصادق..

■ رأيته قد مشع تداول إحدى الجلات.. وسأله: لماذا! - مليئة بالصور العارية

■ ولكن هذه الصور ليست بقصد الإثارة الجنسية - ولكنها عارية..

ورأيت أنه من الأنسب أن أكتب بهذا المكس للحرية واتساع الأفق.. ولا داعي لأن أناقش عبد الله فقيه بخسر الفساري.. السعودي ما كب من اتساع أفق عبد الله فقيه.. وقد خشيت أن يغضب الرجل فيعود إلى تحريم الخمر.. أتصد إلى محرم ذكر كلمة الخمر أيا كان السب..

قلت: فعلا صور عارية.. ولا يصح نشرها.. فالتاس ليسوا في حاجة إلى مزيد من الإثارة في مدينة مثل جدة.. حيث امتلأت الشوارع بالأجانب من كل لون، والمثانيق من كل طول وعرض.. أو بلا طول ولا عرض..

■ وضحكنا نحن الاثنين في وقت واحد: فكلانا لا يمتنى ما ينزله عن الصور العارية!

أنيس منصور

واحد.. والمدينة كلها تتجه إلى مسجد الرسول... شيء جميل وعجيب.. وفي المسجد تهرت حقا.. فأتت في حضرة رجل عظيم.. صاحب دعوة.. وصاحب فلسفة.. أعطاه الله العلم والحكمة والبلاغة والمطعة، وتعذب بين أهله وقائل وأحب ومرضى ومات.. خرج من هذه الأرض الجاثية المحمدية، وكان نوراً وخضرة وعطرا وخيرا لكل الناس..

وأهل المدينة أكثر الناس اعتزازاً بمدينتهم.. ومعهم حتى.. فني مدينتهم أعظم خلق الله وأروعهم.. وقد هاجر إليهم نارا من أهله الذين اضطهدوه وعذبوه واعتدروا عليه..

وكل شخص يفتلك يقول لك: نور!

يقصد أنك نور المدينة!

وتقبل هذه المبالغة الفخمة أو تتعثر عنها..

وفي إحدى المرات، أتى في إحدى المحاملات قال لي صديق: والله نور المدينة!

قلت: حرام عليك يا شيخ.. وهل يستطيع أي أحد أن يفعل ذلك.. فني المدينة مسجد الرسول.. وفي المدينة قد أصبحت الشوارع فرحا بعسرة الملك.. ثم إن القمر في السماء ابن ١٦.. فاحر القمر الذي يمكن أن يضيئه أسد إلى شيء! وأين هو المكان الظلم الذي أستطيع أن أضيء فيه ما يعادل عود كبريت؟! ولكنهم يجمالون إلى أقصى حد..

مقصد الرقيب: قصير!

الدنيا في السعودية.. ومن مظاهر هذا التغيير: الرقابة على الصحف والكتب..

فقد جلت في مكتب الصديق عبد الله فقيه مدير الرقابة.. وهو أحد أبناء الأمل العربية في السعودية.. وأما اسم فقيه فهو من المشاكل العقلية التي حيرتني.. فني أول زيارة

للسعودية لاحظت أن هناك محلات للدواجن كثيرة وقد علقت عليها لافتات تقول: فقيه للدواجن..

ولم أفهم.. وكل ما دار في عقل أن هذه محلات خبزا، الدواجن.. أي فقهاء الدواجن.. أي الناس الذين يساعدونك على اختيار أحسن سلالات الدواجن.. أنسب ديك لأنسب دجاجة..

أو يقومون بتجهيز السلالات المختلفة..

أو لعل فقيه الدواجن هذا هو ما يعادل المأثور عندنا.. أي الذي يعتقد على الديك والفرخة.. رعا..

وتركت هذه الاحتمالات في رأسي.. على أن أسأل أحدا من أهل الذكر.. ووجدت واحدا من أهل الذكر.. سألت الصديق عبد الله فقيه عن فقهاء الدواجن أو علم فقه الدواجن.. وعرفت شيئا آخر تماما.. فهذه محلات يملكها واحد اسمه فقيه.. أو من عائلة فقيه.. وهو يبيع الدواجن.. أي إنها محلات فقيه لبيع الدواجن.. ولكنه شاء أن يجعلها مختصرة.. كما تقول: باتا للأخذية.. أو إحسان

تغيرت

والألبو وأفريقيا كلهم يكون الباب الحاسي لقبير الرسول.. ولكن حراس المسجد يضربون أيديهم بالعصا وهم يقولون: يا ناس حرام.. حرام عليكم.. إنه حرام مثل أي غلس!

ويضيق المصريون لذلك، ولا يرضى السعوديون لتحريم ذلك على الناس..

وفي مسجد ه قباء، أول مسجد أقامه الرسول.. نجد أن في المسجد قطعتي من البلاط الأبيض.. فوقها بركت نافذة رسول الله، فأقيم المسجد.. وهم يقولون ذلك سرا أو محجرا.. فهم لا يريدون أن يشغل الناس بهذا الرمز المادي.. عن المعنى الذي أتى من أجله المسجد..

ومنذ ستين قال لي الأمير فواز أمير المدينة إنه روى للرئيس السادات: أن الأخ أنيس منصور قد جاء إلى غار حراء، يتعبد فيه.. ونحن نحرم ذلك.. ونرى أن التعبد في غار حراء كما كان يفعل الرسول عليه السلام حرام!

فقال له الرئيس السادات: ضعه في السجن!

ولكني قلت للأمير فواز إنني صعدت جبل التور.. وظللت أسبق الصخور الدبية.. وكنت أضع شبيها من الجلد في قديمي.. وكنت أترجل وأطعم.. ثم أتعرض للبراء الباردة بنفذ من تحت الجلباب الأبيض فيرجع جنبي.. ولا يلفت غار حراء وجهه مسدودا بالطوب الأحمر.. حتى لا يذهب إليه الحجاج ويتفلسوا عن الدين بعبادة المكان.. أو بعبادة الأحجار!

ومنذ سنوات طلبت من الشيخ إبراهيم العياشي أحد علماء المدينة المنورة أن يخرج في سيارة وأن تدخل المدينة المنورة من نفس الطريق الذي دخل منه الرسول عليه السلام عندما جاء مهاجرا من مكة.. وخرجنا في سيارة وراح يشير: هنا كان يكن اليهود.. وهنا كانت قبيلة كذا.. وهنا وقفت بنات بني النجار يستقبلن الرسول بقلن: طلع البهر علينا من ثياب الوداع.. ووجب الشكر علينا ما دعا لله داع.. أيها البهوت فينا جنت بالأمر المطاع.. جنت شرفت المدينة.. مرحبا يا خير داع.. الخ..

وكنت أنظر إلى يد الشيخ إبراهيم العياشي فلا أجد إلا بيوتا والأغصان.. والألوريات تنقل زجاجات الكوكاكولا..

إنها نفس القضية: لا تقديس لمكان.. ولا تقديس لشخص.. وإنا الفاسدة ه!

نورت المدينة؟!

المز إلى أي إسماء في رحمت الروحية: المدينة المنورة.. إنها حادثة طيبة.. والناس في غاية الهدوء.. انظر إلى غيرهم وإلى بشرتهم الناعمة المسبوبة.. وإلى أضرابهم وهم يتحدثون إليك.. ثم أعط أذنك لصوت المؤذن.. إنهم أكثر من واحد يؤذنون في وقت

أحب

الإمبريالية الاشتراكية تغزو القارة السوداء»

عبد العظيم حماد

● في حدود علمي ليس هناك في أفريقيا شيء يهدد أمن الاتحاد السوفيتي، ومن ثم فإن السياسة السوفيتية الراضية في القارة السوداء لا يمكن تفسيرها إلا على أساس الدوافع الأيديولوجية المجردة أو على أساس الدوافع الإمبريالية البحتة أو على الأساسين معا.



● في المؤتمر الصحفي الذي عقد في كينشاسا أخيرا.. أعلن أن قوات زائير تمكنت من أسر بعض الجنود المرتزقة بأسلحتهم الروسية الصنع.

الكرة في ملعب الحكومة

لنصف الروتين. وجمهير الشعب - راضية في صبر - أن تنتظر لسنوات أخرى - لكنها صابرة في بقطة كاملة.

● كلنا نعرف أن العبور الاقتصادي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا نجحت ثورة التصحيح الإداري والقضاء على الروتين. فلما كما أن حرب أكتوبر - والعبور العظيم لم يتحقق إلا بعد ثورة التصحيح ضد مراكز القوى.

إن الوزراء ليسوا مطالبين بغير أن يكونوا وزراء حقيقيين. إنهم يعملون في حكومة منتخبة من الشعب.. فلك أغلبية غير عادية في مجلس الشعب تمكنها من إصدار أي قانون تريده. وتسهل لها إلغاء أي قانون - أو نص - يعطل حركتها.

ومدح سالم رئيس الوزراء أعطى كل وزير السلطات المطلقة في وزارته وطالب كلا منهم بأن يتحرروا فوراً من الروتين ويعمل ما يمله عليه ضميره الوطني.

● إن الثورة الإدارية يجب أن تبدأ بإحراق كل الأوراق التي ترقق المواطنين وتتنفخ الكثير من طاقاتهم وتشتتهم. إن خيرى الإدارة الأمريكيين لوسر جرويك دلويسر يوليوك. زارا مصر في الستينات - وعندما سألهم أحد المسؤولين المصريين عن الروتنة التي يكتبونها للإصلاح الإداري في مصر أسكاً ورقة.. وكتب عبارة واحدة Fire Papers. Do not fire people. «أحرقوا الأوراق.. ولا تحرقوا الناس».

● إن السادات يروح قائد الفريق وحده مصر كلها.. وجعل الشعب كله فريقاً واحداً - مع الحكومة وصبر السادات هو تجسد لصبر الشعب المصري المحال. ويصير الشعب صبرا نبيلاً - لن يطول كثيراً مجرد ثلاث سنوات. ونأمل أن تحقق الحكومة خلالها وتسجل الأهداف المطلوبة. وألا يكون هناك وقت ضائع.

ها بنا.. نحلم قليلاً.. ونعمل كثيراً.. ولن يطول انتظار حلتنا.. فإدام السادات هو قائد العبور الجديد.. وادع معنا..

سلطان محمود

سجل الرئيس السادات هدفاً قومياً رائعاً على أرض استاد الإسكندرية.. فقد أعلن ثورة ينتظرها المصريون منذ عشرات السنين.. ضد الرتين. وإعلان التصحيح الإداري من أجل العبور الاقتصادي.

ونجح الرئيس ببراعة في أن ينقل الكرة إلى ملعب الحكومة أمام الملايين من الجماهير.

فقد وضع الوزراء أمام مسؤولياتهم الوطنية.. أعطاهم الصلاحيات المطلقة.. وطالبهم بنصف الرتين.

ولم يكن الضوء الأخضر الذي أعطاه لهم بطول خضرة أرض الاستاد فقط.. وإنما بطول وعرض مصر كلها.. والمصريين أيضاً..

ويعرف الرئيس السادات بحسه الوطني الصادق ما يعنيه شعبه، لذلك فجر شرارة العبور الجديد.. العبور الاقتصادي..

إنه بالنيابة عن الشعب المصري كله - وأمام كل الشعب - طالب الحكومة بأن تتولى مسؤوليتها في القضاء على الرتين واقفلاع جذوره. وأشهد الجماهير على ذلك. لقد سبق أن طالب الرئيس الحكومة بنصف الرتين في اجتماعه الأول بها فور تشكيلها. وربما كانت هناك ظروف لم تمكنها من ذلك ولكنها الآن في أنف وأفضل الظروف لتحقيق ذلك.

إن السادات ينقله الشخص ورصيده المائل الذي اكتسبه في العالم كله.. وباللثة والاحترام والتقدير الذي تبادله مع الزعماء والحكام العرب - استطاع أن يسلم الحكومة مليارين من العملات الصعبة. استطاع أن يحصل عليها بعد نجاحه بعد حرب أكتوبر - في إقناع العالم بأنه زعيم أمين على مصالح شعبه. ويناضل من أجل تحريره وتحقيق الرفادية له. وأنه جاد في نضاله لتحقيق السلام العادل. وأنه صادق في كل ما أعطاه من إقامة دولة المؤسسات وتحقيق الديمقراطية الاشتراكية.

● إن لم تعد للحكومة أية حجة. أو عذر. لتأخير الثورة الإدارية وتحقيق النور الاقتصادي. إن الوزارة في اختيار حقيق أمام الجماهير. الضوء الأخضر من رئيس الجمهورية - يدعوه



● قال المتحدث العسكري زائيري إن قوات زائير تنفذ لتطهير إقليم شابا (كانجا سابقا) من قلوب قوات الفنز وكذلك تطهيرها من الأنعام التي كانت قد زرعتها أثناء انسحابها.

وهكذا يأخذ السوفيت زمام المبادرة في إدخال أفريقيا درامة الصراع الدولي في وقت لم تشكل فيه غالبية الدول الأفريقية بناء هياكل مجتمعاتها التي لا يزال الطابع القبلي غالبا عليها. وفي وقت يعاني فيه الأفارقة من التخلف والفقر الشديدين، بينما تقول المبادئ الاشتراكية قبل أية مبادئ أخرى إن صالح الشعوب الأفريقية هو في مساعدتها على عبور حوض التخلف الحضاري الشامل التي تتردى فيها أبا كان نظام الحكم القائم فيها.

وبصراحة أكثر أن الشعوب الأفريقية لا تزال من وجهة نظر «الاشتراكية العلمية» نفسها تعيش في مرحلة ما قبل الرأسمالية وبالتالي فإن محرك السوفيت حاليا في أفريقيا هو مصالحهم لا مصالح شعوب القارة أو كما يقول الصينيون «الإمبريالية الاشتراكية».

السوفيتية في شرق أفريقيا.. في البداية أقام الاتحاد السوفيتي علاقات وثيقة مع النظام العسكري الصومالي وبدأ ساعاتها أن شرق أفريقيا سيشهد استقطابا بين الصومال التي لها مطالب إقليمية في كل من كينيا وأثيوبيا. وبين الاتحاد السوفيتي من ناحية ضد كينيا وأثيوبيا والولايات المتحدة الأمريكية من الناحية الأخرى. ونجاء تنقلب الآية حينما ينجح الكولونيل المدعوم الشيوعي مانجيس في الإطاحة بمحسومه في المجلس العسكري الحاكم في أثيوبيا. ويسى السوفيت عطفهم على الأمن القومي المشروعة للصومال ويتحالفون مع النظام الجديد في أدبيس أبايا لأنه يضمن تحقيق قدر أكبر من المصالح للسياسة السوفيتية في المحيط الهندي والشرق الأوسط.. وخصوصا أن هذا النظام على استعداد لاتخاذ مواقف عدائية ضد كل من السودان ومصر.

ولنا في حاجة إلى تفسير الدوافع السوفيتية للتحالف مع نظام القذافي في ليبيا. والتي هي أبعد ما تكون عن الانشقاق في المبادئ، والتي لا تتبع إلا من أهداف إمبريالية بحته جوهرها اكتساب مناطق للفوز.

هذا الطور هو استهداف أغراض إمبريالية بحته دون الحاجة إلى إبساها نوبا أيديولوجيا. في أحداث زائير الأخيرة لا يستطيع أحد أن يدعي أن هناك ثورة وطنية ضد مستعمر. ولا يستطيع أحد أن يزعم أن هناك ثورة داخلية ذات أهداف اجتماعية. وإنما كل ما هنالك أن الاتحاد السوفيتي استغل الخلاف الموجود بين أنجولا وزائير منذ الحرب الأهلية الأنجولية. وحرض حكومة لواندا على دفع قلوب الانفصاليين السابقين الذين عملوا تحت إمرة مويس نسومي لإسقاط نظام الرئيس الزائيري الحالي موبوتو. وأقام لهم معسكرات التدريب وزودهم بالأسلحة اللازمة.

ويأمل السوفيت من وراء ذلك في ضم زائير إلى الجبهة الموالية لهم في جنوب القارة الأفريقية لتكون نقطة انطلاق نحو أرجاء القارة المليئة بالثروات الطبيعية والمعدنية والميرة بطاقات زراعية هائلة يمكنها أن تنفع في يد من يسيطر عليها مفتاح أزمة الغذاء العالمية. فضلا عن أهبة القارة السوداء الجغرافية والاستراتيجية في الصراع الدولي من أجل السيطرة الكونية. وفي هذا السياق أيضا تدخل السياسة

وكان الاتحاد السوفيتي بالفعل طوال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حريصا أنه المحرص على إبسا أهداف وأساليب سياسته الخارجية القائمة على أساس المصالح القومية للدولة السوفيتية. بوصفها دولة كبرى. نوبا أيديولوجيا وإن بدأ تفضافا في بعض الأحيان، مثال ذلك كوريا وفيتنام والشرق الأوسط حيث كانت السياسة السوفيتية تطرح نفسها في صيغ مقبولة مثل التصاون ضد الاستعمار والإمبريالية، باعتبار أنها أعلى مراحل الرأسمالية. والتعاون ضد التخلف الاقتصادي. ومساندة القوى السياسية الساعية من أجل إقرار العدالة الاجتماعية.

وبطبيعة الحال كانت هذه الصيغ «المنيرة» تخفى وراءها قدرا كبيرا أو صغيرا من مصالح «الدولة الاشتراكية العظمى». التي قد لا تكون بالضرورة متفقة مع مصالح الأطراف الأخرى. ورغم أن الأمثلة لا تعدو عن أن يستحسن أن تذكر أن السوفيت بدأوا بظالون بسهيلات عسكرية في مصر منذ سنة ١٩٦٥.

أما الآن فيبدو أن السياسة الخارجية السوفيتية. في ضوء ما يجري حاليا في أفريقيا بدأت تدخل في طور جديد.